أَبْـنَـاءُ عَـمٍّ كُـلُّ ذَنْـبٍ لامْـرِىءٍ
إِلَّا الـسِّـعَـايَـةَ بَـيْـنَـهُـمْ مَـغْـفُـورُ(١)

طَـارَ الْـوُشَـاةُ عَـلَـى صَـفَـاءِ وِدَادِهِـمْ
وَكَـذَا الـذُّبَـابُ عَـلَـى الـطَّـعَـامِ يَـطِـيـرُ(٢)

وَلَـقَـدْ مَـنَـحْـتُ أَبَـا ٱلْـحُـسَـيْـنِ مَـوَدَّةً
جُـودِي بِـهَـا لِـعَـدُوِّهِ تَـبْـذِيـرُ(٣)

مَـلِـكٌ تَـصَـوَّرَ كَـيْـفَ شَـاءَ كَـأَنَّـمَـا
يَـجْـرِي بِـفَـصْـلِ قَـضَـائِـهِ الـمَـقْـدُورُ(٤)

يسعى على قدم الخضر

وشرب علي بن إبراهيم التنوخيّ تلك الكأس فقال له ارتجالاً: [الطويل]

مَـرَتْـكَ ٱبْـنَ إِبْـرَاهِـيـمَ صَـافِـيَـةُ الْـخَـمْـرِ
وَهُـنِّـئْـتَـهَـا مِـنْ شَـارِبٍ مُـسْـكِـرِ الـسُّـكْـرِ(٥)

= السلوان، النسيان. يُنوّه الشاعر بالمدى الذي عليه القوم من الأسى والحزن الذي لا تنمحي آثاره؛ فالخبير بأحوالهم لا يشكّ بأنهم يتألمون كثيراً لهذا فإنهم لا يعرفون للعزاء طريقاً، يترجم ذلك الحزن الدّفين تترجمه دموعهم وقد خدّدت مجاريها في خدودهم، وتمرّ الساعات كأنها أزمان مديدة لشدّة آلامهم وأحزانهم.

(١) إنها رابطة الدم، أبناء العمومة، من أرومة واحدة، وما يُصيب أحدهم يستثيرهم جميعاً لردّ عادية الدهر عنه، وهم يغفرون سائر الذنوب بحقّهم إلّا الإيقاع بينهم بسعاية ساعي التفرقة والخصومة في ما بينهم، فإنهم يأخذونه بذنبه دون إبطاء جميعاً.

(٢) يُخبر الشاعر أن الوشاة سعَوْا للإفساد بين القوم وكأنهم ذباب مثير للاشمئزاز ليفلّوا وحدتهم حسداً وليوقعوا بينهم البغضاء تماماً كما يُفسد الذباب الطعام عندما يحوم عليه.

(٣) ينوّه الشاعر بما لديه من رصيد ودّ لأبي الحسين أحد إخوة الفقيد. إنه حبّ وصداقة حميمة، لو أنه نثره على عدوّ له لعدّ ذلك إسرافاً عظيماً لا يستحقّه ممن امتلأ قلبه حناناً ومحبّة.

(٤) المقدور: القضاء. يمدح الشاعر أبا الحسين بأنه ملك يقضي بالحقّ وقضاؤه نافذ يُوافق ما قضى اللّه عزّ وجلّ وهذا من توفيق اللّه تعالى له.

(٥) مرتك: الأصل فيه الهمز من أمرأتك على الدعاء أي جعلت سائغة فحذف الهمز =

رَأَيْتُ ٱلْحُمَيَّا فِي الزُّجَاجِ بِكَفِّهِ
فَشَبَّهْتُهَا بالشَّمْسِ فِي البَدْرِ في البَحْرِ (١)
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِراً
نأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ (٢)

لست على الحجاب بقادر

دخل على بدر يوماً فوجده خالياً وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشرب فقال ارتجالاً:

[الكامل]

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِٱلْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ
هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ (٣)
مَنْ كَانَ ضُوءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ
لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ (٤)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ
وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ (٥)

= تخفيفاً. يدعو الشاعر لممدوحه أن يشرب الخمرة صافية هنيئاً مريئاً، بحيث لا تُسكره، وهو المتغلّب على سائر الأشياء ومنها الخمرة التي لا تتغلّب على الممدوح.

(١) الحميّا: من أسماء الخمر. عمد الشاعر إلى تصوير ممدوحه، وهو يتناول كأس الخمرة، فبدت شمساً مشعّة بيده، وكأنها تُؤذن بالمغيب في الأفق، واصفرارها في نزعه الأخير.

(٢) نأى: بعد. دنا: قرب. وما يدلّ على سرعة إجابته وألمعية كرمه، فيكفي أن نذكر كرمه مهما يكن بعيداً، فإذا به يمثل أمام الشاعر بسرعة كأنه الخضر عليه السلام ليُنفّذ رغبات الذاكرين.

(٣) هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بعد. يخاطب الشاعر ممدوحه وقد خلا بنفسه ليشرب الخمرة دون منادمة أحد، فإذا بالشاعر يُفاجئه ويقول له إنك لن تستطيع الاحتجاب مني.

(٤) و (٥) النوال: العطاء. احتجب: اختبأ، يمدح الشاعر ممدوحه منوّهاً بكرمه وجمال صورته، فمن كان تلك صفاته المحبّبة، فلا يُمكنه الاختباء لأنها فخره وسبب إعجاب =